أوغست كونت (1798_ 1857):

فيلسوف فرنسي وعالم اجتماع مؤسس الفلسفة الوضعية، والحركة الفلسفية والسياسية التي عرفت ذيوعا واسعا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولد بمدينة مونليتى من أسرة تقوية كاثوليكية، كان بارعا في الرياضيات التحق بمدرسة الهندسة بباريس في السادس عشر من عمره، حصل على كل العلوم، اهتم بقراءة الكتب الفلسفية، قرأ كتب ديفيد هيوم، ودي مستر، دي بونالد، كانت تلك المدرسة مركز الثقافة العلمية والفكرة الجمهورية، كان جل الطلاب متأثرين بفكر الفيلسوف سان سيمون، فاتصل به عام 1817 وكان كاتبا له ويساعده في كل أعماله حتى 1822 عندما أراد سان سيمون أن يغير الإصلاح العلمي إلى الإصلاح الاجتماعي خالفه في أفكاره أوغست كونت، وهذا عندما كان متعمقا في دراسة دي مستر ورأى أن الحل الوحيد يكمن في إعادة بناء الاعتقاد في العقول مثلما حدث مع العصر الوسيط لكن عن طريق العلم وليس الدين فنشر كتابا بعنوان:" مشروع الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع" ثم كتاب وضع له عنوان "السياسة الواقعية" 1823 بين فيه أن الفلسفة في القرن الثامن عشر قائمة على حرية الرأي أي حرية الفكر وخاصة بالشعب لوحده هي فلسفة تصلح لنقد ما كان سائدة وبناء ما هو في المستقبل من ثقافة خاصة الثقافة الاجتماعية، وبالتالي تكون البداية وضع وبناء مذهب علمي متكامل يحتوي على السياسة الواقعية، مذهب يعيد الكشف عن حقيقة العلاقات الاجتماعية والإنسانية بأنها خاضعة لقوانين معينة، النظام الاجتماعي هو نظام الحضارة والحضارة تأتي بالعلم والفن، والعلم الطبيعي، الصناعة...الخ.

هذا هو المشروع الذي سينطلق منه أوغست كونت فيما بعد أي إعادة النظر في الحياة الاجتماعية التي كانت حياة غير مستقرة سياسيا، دينيا وما إلى ذلك طور فلسفة الرياضيات، الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا، هو أول فلاسفة العلم الوضعي كان اهتمامه هو البعد الاجتماعي للعلوم. (كرم، 1976، صفحة 316).

2_أعماله:

_ دروس في الفلسفة الوضعية the cours on positive philosophie 1842_1830

ترجمة Harriet Martineau تحت عنوان الفلسفة الوضعية لأوغست كونت، إن العلم تحول من الفلسفة إلى الدين في كتاب عنوانه:

_ نظام السياسة الوضعية the system of positive polity

_ أطروحة في السوسيولوجية وتأسيس دين الإنسانية treatis on sociology, instituting the religion of humanity

_الكتابات الباكرة the Early writings 1820_1829

3_ بدايات الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت:

لقد كانت بدايات مذهب كونت متشكلة من قبل مذهب سان سيمون saint Simon لديه نفس التصور لوحدة العلم، ونفس فكرة التقدم المستوحاة من الفيلسوف والمفكر أنداك بوردان، ونفس الازدراء للميتافيزيقيين ورجال القانون، ونفس الثقة برجال الصناعة، ونفس التصور للأطوار العضوية ونفس الرغبة في العودة إلى العصر الوسيط.

لقد كان كونت خليفة في الفكر الفلسفي لتراثين هما: تراث القرن الثامن عشر، نهل من ديدرو وهيوم وهي مدرسة عظيمة تربط القرن الثامن عشر بالقرن الذي سبقه عن طريف الفيلسوف "**فونتيل**" وبالقرن اللاحق عن طريق **كوند ورسيه** الذي يعتبره كونت سلفه الأساسي والمحوري، والتراث الآخر هو التراث الذي جاء ضد القرن الثامن عشر هو تراث بونالد وميستر، فقد كان القرن الثامن عشر مرحلة نقدية ولا بد من الوصول الآن إلى المرحلة العضوية وفقا لأفكار سان سيمون، إن الوقت الذي جاء فيه كونت اصطدم بالطابع الفوضوي لذلك العصر الذي عاش فيه، فالحياة السياسية فيه قائمة على فكرة السيادة الشعبية وهي الفكرة الميتافيزيقية بالمعنى الصحيح، والوضع من الناحية السياسية فيه ديموقراطية فوضوية وأرستقراطية رجعية، والعلم يخلوا من التنظيم والعلماء كانوا أنداك في تلك المرحلة ضحايا ما يعرف بالتخصص الغير المنظم هو مشتت (فال، 2019، صفحة 83).

كان هدف كونت الأولي هدف سياسي كهدف أفلاطون في كتابه "**الجمهورية**" ولكنه يرى أنه لابد من تحقيق الاستقرار السياسي من ترك الجال للعلم وهذا العلم هو الذي اقترحه **مونتيسكيو** قبله ويعني علم الوقائع الاجتماعية وإكمال العلم هنا يكون بعلم الاجتماع، بمعنى محاولة الوصول إلى إقامة مجتمع العلم وعندما يتأسس المجتمع على العلم يمكن قيام علم الوقائع الاجتماعية ولهذا يجب في نظر كونت دمج الروح العلمية مع الروح الاجتماعية (فال، 2019، صفحة 84)

4_ الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت:

إن المناخ التاريخي والإيديولوجي للفلسفة الوضعية هو مناخ فرنسا في القرن التاسع عشر، وقد كان هذا الزمن كما يصفه كونت هو زمان الإضرابات السياسية والاجتماعية التي شهدتها فرنسا خاصة في أعقاب الثورة الفرنسية، بعدة مدة زمنية بدأت تتكشف نتائج الثورة الفرنسية وأثرها على المجتمع أنداك وبدت أنها لم تغير شيئا في المجتمع وفي البيئة الفرنسية، فأدى ذلك إلى وجود صراعات في المجتمع كانت قد

تسببت في مجموعة من الاضطرابات الكبرى أنذاك، في المجتمع الفرنسي وهذا الصراع كما بينه أوغست كونت كان بين فئات محافظة في المجتمع وتسعى إلى أن تفرض قوانين المجتمع القديم على المجتمع الجديد، والفئات الثورية التي كانت أفكارها تعرف نوعا من الفوضى يرى كونت، أن كلا الفئتين لم تستطيع أنذاك أن ترفع الغبن عن المجتمع بل لا يزال يعيش في نوع من الفوضى السياسية التي كانت تسوده وأساسها فوضى أخلاقية وما يسود العقل أنذاك هو الفوضى ولرفع تلك الفوضى كان علينا الجمع بين فكرتي النظام والتقدم، فكرة النظام كانت تحملها القوى المحافظة، أما فكرة التقدم كانت تحتويها الفئة الثورية، فكرة النظام تعيق التقدم وفكرة التقدم تعيق النظام (وقيدي، 1967، صفحة 206).

من الناحية المعرفية القرن التسع عشر شهد تطور العلوم الرياضية والفيزيائية والبيولوجيا، معنى ذلك أن المعرفة العلمية استطاعت أن تغزو الفكر الإنساني، بل وعملت على تحيقي نجاح كلي. لذلك رأى كونت إقامة علم بالمجتمع أمر ضروري وذلك انطلاقا من مجموعة من العلوم المكونة للمعرفة الوضعية.

ضرورة علم الاجتماع هي مطلب أيديولوجي أكثر منه معرفي، يرى كونت تجاوز الصراع بين الفئتين يقتضي إقامة معرفة علمية بظواهر المجتمع إقامة علم يتعلق بالاجتماع الإنساني. وأهداف علم الاجتماع تستجيب لأهداف الفلسفة الوضعية التي تسعى إلى تحقيقها هذا المشروع عند كونت هو النواة الأساسية للفلسفة الوضعية.

أ_ المعنى الوضعي للعلم:

إن العلم سابقا كان مرادف للمعرفة كل معرفة يمكن أن نحدد لها ضمن نسق معرفي معين موضوع خاص وكانت تعتبر لأجل ذلك علما من بين العلوم التي يضمها ذلك النسق المعرفي. إن العلم ضمن تلك التصنيفات المعرفة المنظمة تتعلق بموضوع واحد.

عن العلم عند أوغست كونت لا يطلق إلا المعرفة التي بلغت من تقدمها درجة الحالة الوضعية وهي الحالة التي يصل إليها الفكر الإنساني في ميدان معرفي ما كمرحلة نهائية بعدما يمر بمرحلتين أساسيتين سابقتين عنه وهما المرحلة اللاهوتية والميتافيزيقية.

أ_ المرحلة اللاهوتية:

في هذه المرحلة يعتقد أن المجتمع يكون بدائيا فيه نوع من العواطف، الأحاسيس يتم تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية عن طريق القوى الخارقة للطبيعة أو القوى الإلهية وتنقسم هذه المرحلة إلى ثلاث مراحل: الوثنية، الشرك، والتوحيد.

ب_ المرحلة الميتافيزيقية:

في هذه المرحلة يتقدم المجتمع نحو العقلانية ويؤمن بوجود الله ويحاول دمج النظرة الدينية مع النظرة العلمية في هذه المرحلة يتم استخدام البحث الميتافيزيقي لاستنتاج الحقائق لكنه يزال يعتمد على بعض الطرق الروحانية للتفسير.

ج _ المرحلة العلمية الوضعية:

يعرفها أوغست كونت بقوله:" أخيرا عندما يدرك العقل البشري في الحالة الوضعية استحالة الحصول على مفاهيم مطلقة يقلع عن البحث في أصل ومصير الكون وعن معرفة العلل الباطنية للظواهر، لكي يخلص بفضل الاستخدام المنظم للبرهنة والملاحظة الى اكتشاف قوانينها الفعلية أي العلاقات الثابتة لتعاقبها وتماثلها ولن يصبح تفسير الوقائع عندئذ وقد أرجع الى حدوده الطبيعية، سوى الرابطة المقامة بين مختلف الظواهر الجزئية وبعض الوقائع العامة التي ينزع تقدم العلم الى اختزال عددها أكثر فأكثر" (كونت، 1967، صفحة 22).

العلم عند أوغست كونت لا يمكن أن يتم دون النظر إلى الظواهر، ولا يمكن للفكر البشري الوصول إلى هذه المرحلة دون المرور بالمراحل السابقة منها المرحلة اللاهوتية فيها يحول العقل البشر إيجاد حلول للظواهر هي حلول غيبية، ثم ينتقل من تلك المرحلة إلى المرحلة الميتافيزيقية وفيها يكون العقل الإنساني يقدم تفسيرات للظواهر كما أنها كيانات مجردة مجرة ملازمة لمختلف موجودات العالم، لكن في المرحلة الوضعية التي هي مرحلة مهمة الفكر البشري يستبعد كل التفسيرات الأولى ويقتصر فقط على تفسير الظواهر بفضل العلاقات الثابتة لتعاقبها أو تماثلها أي المهمة هنا هي مهمة البحث عن القوانين وبالتالي كل ميدان في العلم لا يعمل بهذه الطريقة لا يصل إلى الحالة الوضعية.

إن ما يميز في نظر كونت المعرفة الإنسانية في المرحلة الوضعية هو التقسيم المنظم للمعارف والتدرج في ميادين المعرفة يؤدي إلى أن يجعل كل ميدان من هذه الميادين قادرا على أن يشغل وحده فكر مجموعة من المفكرين وهكذا فالمعرفة الإنسانية التي كانت توجد في الماضي في حالة خلط ضرورية قد أصبحت بفعل نموها المتزايد بصدد كل موضوع من موضوعات المعرفة أمام ضرورة التمايز وحتمية اختصاص كل مجموعة من المفكرين بالبحث في موضوع معين، الفكر الإنساني لم يعد امام نمو المعارف قادرا على أن يجمع فيشخص مفكر واحد القدرة على الاشتغال بالميادين المختلفة للبحث العلمي (وقيدي، 1967، صفحة 209).

إن الفيلسوف الوضعي في نظر أو غست كونت هو فيلسوف إبستمولوجيي، والشروط التي تتوفر في هذا الابيستيمولوجي هي الشروط المتوفرة في فلاسفة العلم المعاصرين أين أن الفلسفة الوضعية التي تمخضت عنها فلسفة العلوم تنبثق من الاختصاص العلمي كعنصر متمم له وعني لذلك عند كونت (الفلسفة الوضعية) هي استمرار لواقع الاختصاص هي اختصاص جديد كبقية الاختصاصات لا يختلف عنها إلا من حيث أن موضوعه هو الكشف عن العموميات العلمية المتعلقة بمجموع المعارف الإنسانية في فترة تاريخية معينة من تطور العلوم، من هنا الفلسفة الوضعية هي بعض من الاختصاص العلمي ولا تولي الاهتمام بالنتائج والعموميات المتحصل عليها فقط في هذا الميدان بل تعمل على الربط بين النتائج العلمية المحصلة في كل ميدان على حدا وبين مجموع المعرفة العلمية، أيضا مهمة الفيلسوف الوضعي هو تحديد روح كل علم من العلوم أي البحث في العلاقات المتبادلة بين العلوم المختلفة (وقيدي، 1967، صفحة 211)

الفيلسوف الوضعي حسب كونت هو عالم يقوم بدور إيجابي لتطور العلوم في الفترة المعاصرة يكون بمثابة الوسيط بين العلماء المختصين في فلروع المعرفة المختلفة وبين أهم النتائج العلمية.

5_ تصنيف العلوم عند كونت:

حاول كونت في مذهبه الفلسفي تقديم تصنيف للعلوم يختلف عن التصنيفات السابقة وعند تصنيفه للعلوم لا بد من توفر شرط تصنيفها وشرط التصنيف هو أن يكون العلم قد تجاوز المراحل السابقة أي اللاهوتية والميتافيزيقية ويكون قد بلغ المرحلة الوضعية، وتصنيفه متعلق أساسا بالعلوم النظرية وليست المعارف العلمية والهدف من التصنيف هو معرف الأساس الذي تقوم عليه هذه العلوم وهذا التصنيف يكون كتالي:

_ هناك علوم مجردة موضوعها اكتشاف القوانين التي تتحكم في مختلف فئات الظواهر.

_ علوم وصفية وهي العلوم الطبيعية التي تقوم على تطبيق القوانين والشروط التي ذكرناها سابقا حسب كونت على التاريخ الفعلي لمختلف الكائنات الموجودة.

_ العلوم النظرية هي العلوم الأساسية التي سيصنفها أكثر كونت فيما بعد.

يذكر كونت العلوم حسب ما يلي: الرياضيات، الفلك، الفيزياء، الكيمياء، علوم الحياة، علم الاجتماع وهذا الترتيب هو حسب مبادئ أربعة هي:

_المبدأ الأول: مبدأ البساطة والتعميم يعني العلوم رتبها وفق بساطة وعمومي.

_ المبدأ الثالث: صنف العلوم وفق دقتها ووفق تطبيق كل علم للتحليل الرياضي في دراسة الظواهر.

_ المبدأ الرابع والأخير: مبدأ معرفي وتربوي، يجب معرفة القوانين المتعلقة بظواهر كل علم من هذه العلوم التي ذكرت أي معرفة قوانين الظواهر التي يدرسها العلم السابق له في الترتيب.

وفق هذه المبادئ رتب أوغست كونت العلوم وأولها هي علم الرياضيات (وقيدي، 1967، صفحة 214)

خاتمة:

في نهاية رحلتنا في الفلسفة الوضعية عند أو غست كونت، نجد أنها تعكس منهجًا فلسفيًا متميزًا يركز على فهم الواقع الاجتماعي بشكل شامل وعميق. تقدم الفلسفة الوضعية لنا فرصة لاستكشاف التحولات والتغيرات في المجتمعات والثقافات، وفهم كيفية تأثير هذه التحولات على الفرد والمجتمع.

بتركيزها على دراسة الواقع بشكل موضوعي وعلمي، تسعى الفلسفة الوضعية إلى تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية بعيدًا عن الأفكار المسبقة والتحيزات الفكرية. ومن خلال هذا التحليل العميق، نستطيع فهم أصول التغييرات والتحولات في المجتمعات بشكل أفضل.

باختصار، تعتبر الفلسفة الوضعية عند أو غست كونت دعوة للتفكير النقدي والتحليل العميق للواقع الاجتماعي، بهدف فهم أعمق للإنسان ومجتمعه وتحولاتهما عبر الزمن.